

تفسير السعدي

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ وَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا
نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعدِّ بِهِمْ
اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ أَي: إِذَا قَالُوا قَوْلًا كَقَوْلِ مَنْ قَالَ مِنْهُمْ

يُخْرِجُنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذْلَ وَالْكَلَامَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ، فِي الْاسْتِهْزَاءِ

بِالدِّينِ، وَبِالرَّسُولِ إِذَا بَلَغَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، جَاءُوا

إِلَيْهِ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا: قَالَ تَعَالَى مَكْذَبًا لَهُمْ: «وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ

إِسْلَامِهِمْ» فَإِسْلَامِهِمْ السَّابِقُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ أَنَّهُ أَخْرَجَهُمْ مِنْ دَائِرَةِ الْكُفْرِ فَكَلَامُهُمْ

الْأَخِيرُ يَنْقُضُ إِسْلَامَهُمْ، وَيَدْخُلُهُمْ بِالْكَفْرِ: «وَهُمْ وَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا» وَذَلِكَ حِينَ هَمُّوا بِالْفِتَنِ

بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْهِ نَبَأَهُمْ، فَأَمَرَ مَنْ يَصَدِّقُهُمْ

عَنْ قَصْدِهِمْ: «وَأَمَّا نَقَمُوا» وَعَابُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَّا لَا

أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ» بَعْدَ أَنْ كَانُوا فَقَرَاءَ مَعُوزِينَ، وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ،

أن يستهينوا بمن كان سببا لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومغنيا لهم بعد الفقر، وهل
حقه عليهم إلا أن يعظموه، ويؤمنوا به ويجلوه؟! فاجتمع الداعي الديني وداعي المروءة
الإنسانية! ثم عرض عليهم التوبة فقال: ﴿إِن يَتُوبَا يَكُ خَيْرًا لَّهُمَّ﴾ لأن التوبة، أصل لسعادة
الدنيا والآخرة! ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا﴾ عن التوبة والإنابة! ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ﴾ في الدنيا بما ينالهم من الهم والغم والحزن على نصرة الله لدينه، وإعزاز نبيه،
وعدم حصولهم على مطلوبهم، وفي الآخرة، في عذاب السعير! ﴿أَوْ مَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ
وَلِيٍّ﴾ يتولى أمورهم، ويحصل لهم المطلوب! ﴿أَوْ لَا نَصِيرًا﴾ يدفع عنهم المكروه، وإذا انقطعوا
من ولاية الله تعالى، فثم أصناف الشر والخسران، والشقاء والحرمان!